على اراضيها عنصراً قد يبرر لاسرائيل الاعتداء عليها فيخرجها من حالة الرفاه والاسترخاء التي كانت تمر بها. وقد اعتمد الرفاه اللبناني على مقومات خارجية، اهمها السياحة والترانزيت. وتغيير الوضع اللبناني من حالة الاسترخاء الى التوتر سيضرب عنصري الرفاه الاساسيين. وكان هذا الرفاه حكراً على بعض فئات المجتمع اللبناني وطوائفه، بينما كانت فئات اخرى وطوائف محرومة منه (على سبيل المثال عندما انشأ الامام الصدر حركته بين الشيعة اللبنانية اسماها «حركة المحرومين»). ولذا كانت السلطة اللبنانية تطلب من الفلسطينيين ومن الحكومات العربية عدم زجها في الصراع مع اسرائيل، وابقائها جسراً بين العالم العربي والغرب الرأسمالي. ونشبت الصدامات بين ادوات السلطة اللبنانية (الدرك والجيش) والمقاومة الفلسطينية منذ العام ١٩٦٨. وحين تزايدت اعتداءات اسرائيل على الفلسطينيين في لبنان طلبت الحكومة اللبنانية من المقاومة الفلسطينية تسليح المخيمات الفلسطينية للدفاع عنها ضد اسرائيل، حيث ما زالت الدولة اللبنانية ترغب في ألا تكون طرفاً في الصراع. وحين بدأت اسرائيل تعتدي على قرى الجنوب اللبناني، لجأ سكان تلك القرى الى المقاومة الفلسطينية للحصول على السلاح والتدرب عليه، اذ كانت الدولة تقف موقف المتفرج. وباستقواء «المحرومين» اللبنانيين بالمقاومة الفلسطينية وبالسلاح الذي حصلوا عليه، بدأوا صراعهم مع السلطة اللبنانية الذي بدأ بمطالبتها بالاعداد للدفاع عنهم، ثم تطور الى المطالبة بالحصول على حصتهم من «الكعكة» التي كانت توفر الرفاه لبعض الفئات والطوائف. وتلونت تلك المرحلة من الصراع داخل لبنان بالبعدين، الوطني العربي (ممثلاً في رفع شعار قضية فلسطين والدفاع عن الحدود اللبنانية) والاجتماعي (ممثلاً في المطالبة بالتوزيع العادل للثروة الوطنية). وكانت الحركة الوطنية اللبنانية ممثلة في بعديها، العلماني ـ الاجتماعي (شيوعيون، قوميون سوريون، بعثيون) والعلماني ـ الطائفي (التقدميون الاشتراكيون، والطائفي «امل»). وفي الطرف المقابل، وقفت السلطة اللبنانية التي انقسمت على نفسها طائفياً، فوقف مع السلطة الطرف المستفيد منها اساساً (المارونيون وأحزابهم: الكتائب، والاحرار، الخ) ورفعوا شعار «تحرير لبنان من الغرباء». واتخذت الانظمة العربية من الصراع داخل لبنان مواقف اختلفت بين المساعي للمصالحة بين الاطراف المتصارعة الى تأييد هذا الطرف او ذاك، تبعاً لمدى مساس الصراع داخل لبنان بمصالح هذا النظام او ذاك. كما أن مواقف تأييد هذا الطرف او ذاك تبدلت، من حين الى آخر، تبعاً لمصالح القطر المعني بها. ويعتبر الموقف السوري في لبنان، بتقلبات تحالفاته، الاكثر تعبيراً عن استراتيجية «اولوية الكيان» التي سادت بين الكيانات العربية؛ كما يعتبر موقف السادات في عقد صلح مع اسرائيل تعبيراً موازياً على جبهة أخرى لهذه الاستراتيجية.

خلال مسار ما عرف باسم «الحرب الاهلية اللبنانية»، تمكنت منطقتان في لبنان من الوصول الى حالة من «النقاء» الطائفي بالتهجير المتعمد (المنطقة الدرزية والمنطقة المارونية) وبقيت المناطق الاخرى مختلطة، وشكلت، في ظل الهيمنة الفلسطينية، الملجأ لمعارضي «النقاء الطائفي»، أو بمعنى دعاة الحل الوطني في لبنان.

خلال الغزو الاسرائيلي للبنان، طرحت الولايات المتحدة الاميركية حلاً للبنان ـ الجغرافيا يعيد، بشكل أو بآخر، صياغة التنظيم الطائفي للسلطة اللبنانية، تمثل في تشكيل «هيئة الانقاذ» (بشير الجميل، وليد جنبلاط، نبيه بري، شفيق الوزان). وفشل مشروع استقواء